الشرق كما يراه الغرب

٣ - الموالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

تضم الموالد — علاوة على الناحية الدينية — بعض عناصر اللهو وضروب التسلية التي اشتهر بها المصريون . بل إن جميع الاحتفالات الدينية في مصر وفي غير مصر ، وفي الأزمان الحديثة والقديمة على السواء — لم تكن احتفالات دينية بحتة ، بل كان يداخلها دائماً شيء من اللهو والعبث . فهوميروس مثلا يذكر لنا الشيء الكثير عن الألعاب الشعبية ، وأنها كانت تؤلف قسما هاماً من أعياد اليونان الدينية . والمصريون معروفون بروحهم المرحة التي تحب الانطلاق ، فهم لا يتركون فرصة تمر أمامهم حتى يغتنموها ويطلقوا أنفسهم العابثة على سجيتها ، وعلاوا الدنيا لهواً وعبثاً ، ويثيروا حولهم أكبر ضجة مستطاعة ، كما هي عادتهم في المناسبات وفي غير المناسبات

المؤتمر مندوبون من كافة الأحزاب والجمعيات الوطنية . ورجال السياسة والصحافة والأدب والأعمال . ودام المؤتمر لنهاية يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ . ثم رفعت الرابطة مذكرتها الى السلطات الهولندية بأندونيسيا ومنها أرسلت إلى الهيئات العليا بهولندا لدراستها . وبعد دراسات دقيقة أشعرت الحكومة الهولندية رابطة الأحزاب بتأجيل الطلب لأن الشعب لم ينضج سياسياً أيضاً . فضلا عن أن الحرب العالمية الثانية دائرة رحاها .

ولعلنا في هذه الكلمات الموجزة استطعنا أن نعطي القارىء صورة مصغرة مختصرة عن الحياة الحديثة في جزر الهند الشرقية أو إندونيسيا ، وهي حياة أمة شرقية تعدادها سبعون مليوناً . لا نستطيع أن نغفي الطرف عنها وهي همزة وصل بين استراليا وأمريكا وبين آسيا وأفريقا وأوربا ، ووجودها ضروري لتحفظ توازن القوى في الشرق الأقصى !

سوكارنو الصغير

وجو الموالد جو صاخب ، كله ضجيج وترتفع فيه الأصوات المتنافرة من كل جانب ، ولكنها على تنافرها يقوم بينها نوع من الائتلاف والانسجام يجعل لها وقعاً غريباً في النفس ، ففي ناحية نجد مشارب (البوظة) تنبعث منها أصوات الغناء السوداني : أيوه أيوه من السودان :

سرجوا الصندوق يا محمد لكن مفتاحه معانا ... الخ

يصحبه توقيع جميل منتظم على الصناجات ، ولكنه يضيع ويتلاشى أمام دوي موسيقى غريبة صاخبة منبعثة عن (شخشاخة[1]) كبيرة ، ويصحب ذلك الرقصة السودانية المعروفة باسم الرانجا أو الرانجو[2] ؛ ومن ناحية أخرى ترتفع أصوات باعة الليموناده والتمر هندي والعرقسوس والشربات وباعة السجاير ومن ورائهم (جامعو الأعقاب) ؛ ومن هنا وهناك ترتفع أصوات باعة (عرائس المولد) يتغنون بمزايا عرائسهم ويعددون صفاتها وجمالها ، وقد زينوها بأجمل زينة ، ووضعوا إلى جانبها خليطاً كبيراً من الأرانب والكلاب والدجاج والبط (وكل ذلك مصنوع من الحلوى بلا ريب) . ويتفنن باعة العرائس في عرض عرائسهم ، وهم في الغالب لا يكتفون بعرض العرائس وحدها ، بل يأتون لكل عروسة منها (بعريس) ويسكنان الاثنين معا في حجرة صغيرة بها مخدع ومرايا وما إلى ذلك ... وكثيراً ما يستوحي باعة العرائس القصص الشعبية مثل عزيزة ويونس أو قصة أبي زيد الهلالي أو قصة (أبو علي سرق المزة) في عمل بعض النماذج الطريفة ... وفي هذا الجو الصاخب الرائع تنتشر روائح قوية نفاذة مستطابة وخاصة عند الاجانب ... تلك هي روائح الطعمية والفول المدمس والكفتة والشواء والارز وغيرها من الاطعمة الوطنية الطيبة النكهة .

وتنتشر المسارح و (التياترات) بكثرة في الموالد ؛ وبعض

---

(١) يرى ماكفرسون أن الشخشاخة في الأصل من اختراع المصريين القدماء ، وأنها انتشرت بانتشار عبادة إيزيس ، وهي لا توجد اليوم إلا في جنوب مصر ولا يستعملها في القاهرة إلا السودانيون

(٢) الرانجو في الأصل اسم آلة موسيقية وترية ، ثم أطلقت بعد ذلك على الرقصة كلها : ويرى حسن أنيس باشا ، وهو من علماء الموسيقى في مصر — أن الرانجو تمت إلى الموسيقى البدائية بصلة وأنها قريبة كل القرب من موسيقى الجاز عند الأوربيين .

هذه المسارح تطلق عليها اسم (مسرح) من باب التجوز فقط لصغر حجمها ، كتلك (المسارح) الخاصة بالأراجوز وخيال الظل التي لا يزيد أجر الدخول فيها على مليمين ، ويجلس المتفرجون في (الصالة) على مقاعد خشبية ليشاهدوا (العرض) ويستمعوا إلى الموسيقى . بيد أن هناك مسارح أكبر من هذه يعرض فيها شيء لا بأس به من التمثيل والرقص . وفي خارج هذه المسارح توجد منصتان على جانبي باب الدخول ، تحتل إحداهما فرقة موسيقى نحاسية (تشنف) آذان الجمهور والمارة بنغماتها الدوية ؛ أما المنصة الأخرى فيخرج اليها من آن لآخر — خلال فترة الاستراحة — بعض الممثلين والراقصات ليعرضوا على الجمهور في الخارج شيئا من بضاعتهم الفنية عسى أن يثيروا فيهم الرغبة والشوق للدخول . ويعمل في هذه المسارح — علاوة على الممثلين والراقصات — نفر من الرجال قد تخصصوا في (تحريك العضلات) ، كما نجد فيها أيضاً بعض الراقصين من الرجال يأبون أن يرقصوا إلا في ملابس النساء وفي زينتهن . ومن أشهر هؤلاء الراقصين راقص اسمه حسين فؤاد ، يوزع على المتفرجين — بعد العرض — بطاقة عليها صورته في زي امرأة وقد كتب تحتها : — الراقص المصري الشهير حسين فؤاد .

وللمصريين ولع شديد بمشاهدة ألعاب القوى ، ولذا لا يخلو أي مولد من وجود بعض خيام صغيرة تعرض فيها هذه الألعاب من مصارعة ورفع ، ومن أشهر الذين يعرضون هذه الألعاب عملاق ضخم الجثة يسمى نفسه (الأستاذ شوال) ولهذا الأستاذ شوال (جوقة) تضم بين أفرادها قزما صغير الجسم كريه المنظر ولكنه مع ذلك يتمتع بقوة جسدية هائلة بحيث أنه يستطيع أن يرفع بسهولة رجلا يكبره بثلاثة أضعاف حجمه .

ومن الألعاب الطريفة المستحبة عند المصريين في الموالد لعبة (أبو فيران) . والأدوات المستخدمة في هذه اللعبة منضدة صغيرة مستديرة مثبت على حافتها منازل صغيرة لكل منها فتحة (أو باب) تكفي لمرور الفأر ، ولكل بيت رقم خاص . ويتراهن المتراهنون على أي البيوت سوف يدخلها الفأر ، ويضع كل منهم نقوده على البيت الذي يختاره . ثم يخرج (أبو فيران) فأره الأبيض الصغير من جيبه ويطلقه يرتع ويجري على المنضدة كيف شاء ؛ فالبيت الذي يدخله الفأر يربح صاحبه الرهان ، وقد شاهد ما كفرسون صبيا صغيراً بارعا كان يكسب الرهان دائما دون أن يفقد نقوده قط ، فراقبه خلسة حتى عرف السر في ذلك ؛ إذ كان الصبي الصغير يناول من حوله ويضع قطعة من الجبن في البيت الذي يختاره ؛ وكانت رائحة الجبن كفيلة بجذب الفأر اليها .

ولكن ، مهما كثرت الألعاب الشعبية في مصر ، ومهما تعددت مظاهر اللهو والمرح — فانها واحدة لا تتغير في جميع الموالد ؛ فما نراه في موالد الوجه البحري نجده في موالد الوجه القبلي دون أدنى تغيير . والأعجب من ذلك أن نفس الوجوه تظهر في كل الموالد وخاصة وجوه الممثلين والأراجوزات والحلاقين الذين يختنون الفقراء مجاناً . والواقع أن هناك فريقاً كبيراً من هؤلاء يقفون حياتهم على التنقل بين البلدان للتكسب من الموالد .

* * *

ونحب في النهاية أن نكرر ما سبق أن قلناه من أن كتاب ما كفرسون سد فراغا كبيراً وأسدى خدمة جليلة للدراسة الحياة الشعبية في مصر الحديثة ، فالواقع أن هذه الناحية لم تحظ بكثير ولا قليل من الدراسة والعناية الجديرة بهما ، وعسى أن يقوم بعض علمائنا ممن يعنون بدراسة (الفولكلور) بمتابعة الخطوات التي خطاها ما كفرسون وغيره من أمثال إيفانز بريتشارد والأستاذ هوكارت وبذلك يقدمون أجل الخدمات للعلم ويؤدون بعض ما يجب عليهم نحو وطنهم .

(انتهى)

أحمد أبو زيد

صديق القارئ

الكتب الآتية

ضرورية لثقافة فكرك ولسانك

		قرش
دفاع عن البلاغة :	للأستاذ أحمد حسن الزيات	١٥
آلام فرتر :		٤٠
رفائيل :		٤٠
وحي الرسالة :		٤٠

اطلبها من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة .